الباب الثالث

الإيمان

كان لابد أن نعرض فى البابين الأول والثانى فكرة مبسطة عن عوالم الغيب والملكوت غير المرئية أو غير المحسوسة بالحواسِّ البشرية، وكذلك أن نتعرض لقوى النفس الداخلية غير المحسوسة التى يمكنها التعامل مع عوالم الغيب بكيفية خاصة.، وذلك كمقدمة للحديث عن الإيمان حيث أنَّهُ غيبىٌّ هو الآخر أو باطنى كما يقولون.

وتعريف مطلق الإيمان: هو الاعتقاد بالقلب والتصديق الجازم فى النفس والمعرفة اليقينة بما تؤمن به، ثم ما يستتبع هذا من إقرار باللسان وأداء لأعمال نابعة من هذا الإيمان.

فالإيمان محله القلب، أى النفس والروح، لذلك فهو باطنى، ولكن لابد بالضرورة من أن تكون له مظاهر تبدو من باطن النفس إلى ظاهر الجوارح والجسد، فكل إناء ينضح بما فيه، فالباطن ثمرته الظاهر، والظاهر أصله الباطن وسبحان الأول والآخر والظاهر والباطن...

• أنواع الإيمان :

الإيمان أنواع وكل نوع له قوته..، وأعلاه هو الإيمان التحقيقى، وذلك هو الذى قد انطبع فى القلب شهودا ومشاهدة ويقينا جازما لا شك فيه حتى لو خالفك فيه كل أهل الأرض فانه لا يهتز ولا يتأثر..، وهذا بالطبع هو أعلى درجات الإيمان.، يقول تعالى فى سورة آل عمران-١٨: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾.، فالله سبحانه وتعالى وهو الشاهد والشهيد قد جمع مع شهادته وشهادة الملائكة شهادة أولى العلم.. وهم خواص خلقه العلماء به تعالى والذين يقول عنهم:

﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ...﴾(فاطر-٢٨)

وتلى هذه الدرجة درجة الإيمان الاستدلالى أو العقلانى، وهو ذلك الذى يتكون فى قلبك بالأدلة والبراهين العقلية، يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ **(يونس-١٠١) ويقول:** ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ **(العنكبوت-٢٠) و هذا الإيمان العقلى يزيد وينقص لأنه دائما محل نظر وتفكر واعتبار.**

والدرجة الأدنى هى الإيمان بالتقليد، وهذا أضعف الإيمان لأنَّهُ ليس له أساس متين يرتكز عليه سوى التقليد لمن حوله، فمن نشأ فى قوم فهو عادة يدين بمعتقداتهم ويسمع لكلامهم دون تمحيص منه أو تدبر فيه، فإن كانوا مؤمنين فهو مؤمن، وان كانوا كافرين فهو مثلهم، انظر إلى قوله تعالى فى سورة الزخرف : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ **، فهذا الإيمان هو محل فتن وتغيير لأنه تقليد أعمى، فلا هو بالمشاهدة اليقينية ولا هو بالدليل العقلى.**

اللَّهم إلا من نقله اللَّه برحمته منه إلى العقلى أو رزقه اللَّه اليقين من عنده كإيمان عوام المسلمين فهم على الفطرة الطاهرة، وفيها خير عظيم لأنها فطرة اللَّه التى فطر الناس عليها.

وضد الإيمان هو الكفر، فالإيمان هو الاعتقاد، والكفر هو الإنكار، فكافر النعمة هو منكرها غير المعترف بها.

والكفر نوعان، كفر اعتقاد وإلحاد بحيث لا يرى الكافر النعمة أصلا أو يراها ولا يقدرها حق قدرها فهو كالأعمى تماما، يقول تعالى فى سورة المائدة: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾.. **ويقول:** ﴿... يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾**(الأنعام-٢٥).**

والنوع الثانى هو كفر جحود ولجاجة واستكبار مع معرفته بالنعمة، يقول تعالى فى سورة النحل: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ، **ويقول:** ﴿.. فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ **(النحل-١١٢)** ، **ويقول:** ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ **(النمل-١٤)**

فليس الإيمان كله واحدا، وكذلك ليس الكفر كله واحدا، ومن البدهى ان يكون الإيمان فى قلبك هو إيمان بمعلوم لديك، وليس إيمانا بمجهول، صحيح أن هذا المعلوم يكون له فى نفسك درجات كثيرة من العلم به، ولكنه ليس مجهولا تمام الجهل، والمعرفة درجات من درجات العلم، واليقين هو اعلى درجات العلم.

فإذا كان العلم هو الإلمام والإحاطة بالمعلوم، فإن اليقين هو ملامسة هذا العلم للقلب والانفعال به بحيث يصبح مهيمنا على كل أفعال وأحوال القلب وتقلباته، انظر إلى قول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾، **فالعلم عن طريق الرؤية قد أثمر اليقين، فإن اليقين**

هو ثمرة المعرفة.

ولتبسيط الأمر نقول إن كل إنسان يعلم بلا أدنى شك أنَّهُ سوف يموت يوما ما، ولكنَّهُ فى زحمة حياته وانشغاله بأمور دنياه وشهوات نفسه ينسى هذه الحقيقة، ويزداد يقينه بها إذا اتبع جنازة أو حضر شخصا وهو يموت، فتراه لفترة قد تطول وقد تقصر قد عزف عن الدنيا وحدثه قلبه باحتمال موته القريب وما ينتظره بعده، فتتبدل صفاته مؤقتا، فإذا ضعف عنده هذا اليقين عاد إلى انشغاله بدنياه وشهواته ناسيا الموت مرة أخرى، مع علمه الكامل فى جميع أحواله بأن الموت حقيقة وأنَّه سيموت بلا جدال.

فعلمه بالموت لم يزد ولم ينقص، ولكن يقينه به وهو ملامسة هذا العلم للقلب والانفعال به، هو محل الزيادة والنقص.

لذلك يقول ﷺ : فيما رواه مسلم : " كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّها تذكركم بالآخرة "، وليس من مفرج لِهَمٍّ المكروبين مثل زيارة القبور، نعم إذا ضاقت بكم الصدور من الدنيا وما فيها وأحوالك وأحوالها معك فاتركها واذهب إلى القبور حيث الموت والآخرة أمامك، فكل هؤلاء المقبورين كانوا مثلك وأكثر أو أقل غنى، وأشد أو أعظم فقرا، وأقل أو أكثر بلاء، والآن تساوى غنيهم مع فقيرهم، ومنعمهم مع مبتليهم، وكلهم تحت التراب وأين نعيمهم الدنيوى وأين أموالهم وأين مكانتهم فى الدنيا !!! هذه نهايتهم ونهايتك لا ينفعهم ولا ينفعك وانت صائر اليهم لا محالة غير عمل صالح ورضاء اللَّه تعالى عنهم وعنك، وصدق رسول اللَّه ﷺ.. فإن زيارة القبور تزيد يقينك بالموت وتهون عليك الدنيا وما فيها.

فهذا مثل العلم، ومثل اليقين.

واليقين أيضا درجات، قالوا إن أدناها علم اليقين، وأوسطها حق

اليقين، وأعلاها عين اليقين، فعلم اليقين هو العلم المكتسب بالفكر والمنطق الذى لا شك فيه، وحق اليقين هو العلم المنقول إليك من مصدر وثقة لا شك فيها حتى وإن كان ما نقل إليك مخالفا لفكرك ومنطقك، وعين اليقين هو ما رأيته بعينك فلا سبيل لإنكاره بأيّةِ وسيلة ولا شك فيه، فماذا بعد رؤية العين !!!.

يقول تعالى فى سورة الواقعة-٩٥:﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾

ويقول تعالى فى سورة التكاثر: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾

والحقيقة أن معانى العلم والمعرفة والإيمان واليقين كلها متقاربة من بعضها البعض مع فروق دقيقة لا ينتبه لها أكثر الناس، لذلك فلنطلق لفظ الإيمان على كل هذه التعريفات فإنّها تفى بالغرض على قدر المقصود.

وحيث إن الإيمان إنَّما يكون بالقلب فلابد بالضرورة ان يتأثر به القلب، وما يصدر منه من أعمال عن طريق الجوارح التى هى أدوات القلب، ومنافذه على العالم المادى فالقلب كما سبق القول فى الفصل السابق هو الآمر الناهى على الأعضاء فلا بد أن يظهر على هذه الأعضاء والجوارح، ما قد وقر واستقر فى القلب من إيمان.

لذلك يقول ﷺ فيما رواه الديلمىعن أنس رضى اللّه عنه " ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى، ولكن هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل"، فالإيمان المستقر فى القلب إنَّما يصدقه أو يكذبه العمل الدال عليه

والذى تأتى به الجوارح والأعضاء، لذلك فالإيمان الباطنى له اثره الظاهر بلا شك، فإن صدق الإيمان فلابد أن تنبسط الجوارح بالطاعات وتكف عن المعاصى والمحرمات على قدر ما فى القلب من إيمان، لذلك يقول ﷺ إن الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا اللّه وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، كما يقول ﷺ فى الحديث الصحيح " من كان يؤمن باللّه واليوم الأخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن باللّه واليوم الأخر فليقل خيراً أو ليصمت "، والقول الفيصل قوله ﷺ فيما يرويه الطبرانى عن ابن عمر " لا يقبل الإيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان ".

ويقول تعالى فى سورة النور-٢١ :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِۚ ... ﴾ ، ويقول:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ... ﴾ (الأنفال-٢٠)، ويقول:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٌ مِّن قَوۡمٍ...﴾ (الحجرات-١١)، إلى آخر مثل هذه الآيات والأحاديث التى توضح أفعال المؤمنين الصادقين.

وكما أن الإيمان له اثره الظاهر على أفعال المؤمنين، فلابد ان يكون اثره أكبر فى صفات القلوب المؤمنة، فالقلب المؤمن لابد ان يصبغ بصبغة الإيمان، ومن احسن من اللّه صبغة، لذلك يقول ﷺ " إن الحياء شعبة من الإيمان" فالحياء صفة فى النفس تتحلى بها، والمقصود هو الحياء من الرذائل التى تأباها النفس العفيفة وترفضها أنفة المؤمن وعزته باللّه تعالى، واعلى درجاته هو الحياء من اللّه تعالى، فيكون المؤمن حريصا على ألا يراه اللّه حيث نهاه وألاَّ يفتقده حيث أمره، فهذا هو الحياءُ المطلوب وإن كانت كل أنواع الحياء محمودة العاقبة.

ومن صفات المؤمن حب المؤمنين واتساع قلبه لهم جميعا

والرحمة بهم، يقول ﷺ فيما يرويه الامام مسلم عن أبى هريرة "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم، افشوا السلام بينكم" وانظر إلى دقه التعبير فى هذا القول النبوى المبارك وقد أوتى ﷺ جوامع الكلم فيضع كل كلمة فى مكانها الصحيح بمعناها المراد تماما، حيث يقول" أفشوا السلام بينكم " ولم يقل ألقوا السلام، فالإفشاء غير الإلقاء، فالإلقاء باللسان والكلام، والإفشاء هو نشر السلام بين قلبك وقلب أخيك المؤمن بكل سبيل بالقول وبالفعل وحسن المعاشرة فيأمن شرك وتأمن شره، ألا ترى إلى الدعوة المأثورة عند دخول المسجد الحرام "اللَّهم أنت السلام ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام" !!!.

فافهم رحمك اللَّه المقصود من إفشاء السلام بينك وبين المؤمنين وأهمية المحبة بينك وبينهم.

وعلى العموم فسوف نفرد فصلاً خاصاً لخلق الإيمان وأدبه بإذن اللَّه تعالى.

• عناصر الإيمان :

فإذا تحدثنا عن الإيمان الشرعى المطلوب من المسلمين فاننا نلتزم بحديث رسول اللَّه ﷺ عندما سئل عن الإيمان فقال "الإيمان هو ان تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " صدق رسول اللَّه ﷺ.

ومن الواضح انه إيمان بغيبيات، إمَّا غيبيات مادية كرسل اللَّه تعالى الذين سبقوا والكتب المنزلة عليهم، وإمَّا غيبيات من عوالم الملكوت كالملائكة واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وسنوجز لك المعنى فيما يلى:

• الإيمانُ باللَّه :

أن تـؤمن بوحدانيتـه جَـلَّ وعـلا بأنَّـه لا إلـه إلا هـو مالـك الملـك والملكوت ورب كل شئ وإلاه كل شئ.. وخلق كل شئ وهـو على كـل شئ قدير، قيوم السموات والأرض لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو الفعال لما يريد جَلَّ شأنه العظيم، وأن تـؤمن بأسمائـه تعالى وصفاته بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، ولكن كما أراد اللَّه تعالى وبالكيفية التى تليق به جَلَّ شأنه.

والباب التالى سيكون فيه التفصيل للإيمان باللَّه، فلا نطيل الآن.

• الإيمان بالملائكة :

وهـم نورانيـون خلقهـم اللَّـه تعـالى لا مـؤنثين ولا مـذكرين، وهـم معصومون من الخطأ والعصيان، وكل منهم على درجة واحدة مـن الطاعة ﴿... لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (التحريـــم– ٦)، وهم أنواع شتى ودرجات لا نهاية لـه، وكـل منهم لـه مقام معلـوم:﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾(الصافات – ١٦٤)، فمـنهم ملائكـة فـى الأرض، وملائكة فـى كـل سماء، وملائكـة بين الأرض والسماء، وملائكـة حفظةً للإنسان، وملائكة كاتبون لحسناته وسيئاته، وملائكة للنعيم وملائكـة للجحـيم، وملائكـة حـول العـرش، وملائكـة يحملـون العـرش، وملائكـة سجود، وملائكة ركوع حتى يوم القيامة، ولا نهاية لحصرها وسبحان مـن أحصاها نوعا وعددا.

وتأمل فى آيات اللَّه ليزداد يقينك حيث يقول:﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا

عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾(الطارق-٤) ، ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ... ﴾ (الرعد-١١) (أى يحفظونه بأمر الله تعالى)، ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾(الانفطار)(أى كاتبين لأعمالكم وأفعالكم) ، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الأنعام – ٦١)، ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الزمر-٧٥) ، ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحاقة-١٧)، ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ...﴾ (المدثر: ٢٦-٣١)، ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ (الزخرف -٧٧)، (مالك هو خازن النار)، ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (البقرة- ٩٨)، ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾(الأنفال-٩) ، ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾(آل

عمـــــــران)، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ **(فصلت-٣٠و٣١)**،

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ **(غافر-٧)**

فأنت ترى أنواعا شتى من الملائكة، كل له عمله، وكل له صلاته وتسبيحه، وكل له مقام معلوم، جَلَّ جلال الله.

• الإيمان بالكتب السماوية :

والكتب المعروفة لدينا هى أربعة : القرآن والإنجيل والتوراة والزبور، كما جاء ذكر صحف إبراهيم فى القرآن الكريم، يقول تعالى ﴿... وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ **(النساء-١٦٣)، ويقول فى سورة آل عمران-٣و ٤:** ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾

ويقول فى سورة الأعلى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾، **ويقول فى سورة الحديد-٢٧:** ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ... ﴾، **ويقول فى سورة الإنسان:** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ .

فصحف إبراهيم أُنزلت على سيدنا إبراهيم أبى الأنبياء عليه السلام، والزبور أُنزل على سيدنا داود عليه السلام، والتوراة على سيدنا موسى عليه السلام، والإنجيل كان لسيدنا عيسى عليه السلام، القرآن كلام اللَّه تعالى المحفوظ بأمره تعالى والمنزَّلِ على سيدنا رسول اللَّه ﷺ، والقرآن الكريم هو الجامع الشامل التام الكامل، قراءته ذكر، والنظر فيه عبادة، والاستماع إليهِ عِبَرٌ ونور.

• الإيمان برسل اللَّه :

ورسل اللَّه المعروفون لدينا هم خمسة وعشرون، وهم آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، ولوط، وهارون، وموسى، وداود، وسليمان، وأيوب، وذو الكفل، ويونس، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وخاتمهم محمد ﷺ أجمعين، وأولوا العزم منهم خمسة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد.

ورسل اللَّه إلى الخلق كثيرون وقد قيل إن عددهم هو ٣١٧ أو ٣١٥ على اختلاف فى الرأى، حيث أنَّ هناك رسلاً لم يقصصهم اللَّه علينا فى كتابه الكريم حيث يقول فى سورة النساء: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ

عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾

وسيدنا إدريس أُرسل إلى أهلِ مِصْرَ ويسمى بأبى الفراعنة وإليه يُنْسَبُ علم الفلك والهندسة وذكر ابن كثير أنَّ له اسما آخر وهو أخنوخ وقيل أنه هرمس الفراعنة وقيل إنه إلياس والأنبياء كثيرون وقيل إن عددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبى، والنبى هو من نبئ فى نفسه ولم يرسل إلى قوم، والرسول نبى أرسل إلى قومه، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا، وقد يوجد أكثر من نبى فى زمن واحد، وكذلك أكثر من رسول فى زمن واحد، وكل رسول إلى قومه، أمّا رسول اللَّه محمد ﷺ فقد ارسل إلى كافة العالمين، والجن والإنس، ولكل زمان ومكان، يقول تعالى فى سورة سبأ-٢٨: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا... ﴾ **، وقوله تعالى فى سورة المائدة-٣:** ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ... ﴾**، ويقول فى سورة الأنبياء - ١٠٧ :** ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ **و قوله فى سورة الحجر:** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾**، يدل على أنّ دين محمد ﷺ هو الدين الكامل، والنعمة التامّة، والمحفوظ من عند اللَّه تعالى من أى تغيير أو تحريف أو تبديل، والصالح لكل العالمين (آل عمران-٨٥):** ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ... ﴾**، فالإسلام هو الدين الشامل الكامل الذى ارتضاه اللَّه تعالى لعباده حتى قيام الساعة.**

• الإيمان باليوم الآخر :

وهو يوم البعث والنشور، يوم القيامة، يوم الحسرة، يوم الفزع الأكبر، يوم تضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّه شديد، يوم يجعل الولدان شيبا، يوم يقوم الناس لرب العالمين، اللَّهم أظلنا تحت عرشك فى هذا اليوم العظيم واجعلنا مع حبيبك المصطفى ﷺ غير خزايا ولا نادمين، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه، واجعله فينا شافعاً مشفعاً يا رب العالمين، كرما منك وجودا وإحسانا على عبيدك المقرِّين بذنوبهم المعترفين بعجزهم عن ذكرك وعبادتك ولا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

فى هذا اليوم العظيم، يحشر الناس لرب العالمين، ويقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، يوم تخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، يوم يضع اللَّه تعالى الموازين القسط للحساب، فلا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها ووزنتها وإن تكن مثقال حبة من خردل، فمن عمل مثال ذرة خيرا يره، ومن عمل مثقال ذرة شرا يره، وإن تك حسنة يضاعفها اللَّه تعالى ويؤت من لدنه أجرا عظيما، فمن أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا، وأمَّا من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا، يوم يأتى اللَّه تعالى بأعمال البشر حاضرة شاهدة متكلمة، فلا يُقْبَلُ منها إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، وكل إنسان له ميزانه على قدر علمه وعقله وإخلاصه ونعم اللَّه عليه فى الدنيا، فمن الحسنات ما هى مردودة على وجه صاحبها، ومنها ما هى بعشر، ومنها ما هى بسبعمائة ضعف، واللَّه يضاعف لمن يشاء، فكم من عمل قليل خَلُص لوجهه تعالى ينميه اللَّه بفضله ويزكيه ويطهره ويربيه للعبد حتى يدخله

الجنة، فالرجل الذى سقى الكلب شربه ماء، ادخله اللَّه بها الجنة، وما أهونه من عمل وما أعظمه من أجر، وينصب الصراط على جهنم، أدقَّ من الشعرة وأحدَّ من السيف، فمن الناس من يمر عليه إلى الجنة بسرعة البرق، ومنهم من يجرى عليه، ومنهم من يحبو، ومنهم من تتناوله كلاليب جهنم التى نصبت على جانبى الصراط تسحب الكفار والفاسقين إلى جهنم، وهى لها زفير وشهيق وماذا تقول فى وصف جهنم والعياذ باللَّه بعدما ذكره اللَّه تعالى فى كتابه الكريم !!! وماذا تقول فى وصف الجنة بعد وصف اللَّه تعالى لها فى كتابه الكريم !!! وما هذه الأوصاف المذكورة الا لتقريب المعانى إلى النفس البشرية، فهى لا تعلم إلا ما تلمسه وتحس به من أمور الدنيا فجاءت الأوصاف فى القرآن الكريم على حسب ما تعود الناس فى دنياهم من مظاهر العذاب أو مظاهر النعيم، ولكن الأمر أكبر من هذا وأعظم، ألا ترى إلى قول رسول اللَّه ﷺ عن الجنة كما رواه عبد اللَّه بن عباس " فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " !!! أى حتى ما يخطر ببالك أو منتهى تصورك بالنعيم ومذاقه لا يساوى شيئا بجوار نعيم الجنة الحقيقى، فلا الحور العين كالنساء، ولا الأنهار كالأنهار ولا العسل كالعسل ولا اللبن كاللبن، وإن اتفقت المسميات فما أبعد الجواهر، وما أبعد التشابه بين شهوات الدنيا ونعيم الآخرة، وروى ابن عباس عن رسول اللَّه ﷺ قوله "ليس فى الجنة شئ مما فى الدنيا إلا الأسماء " وروى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى اللَّه عنه قول رسول اللَّه " ولو أطلعت أمرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما " وصدق رسول اللَّه ﷺ، الاسم هو الاسم ولكن ما ابعد الموصوف عن المعروف، وجلَّ جلال اللَّه.

ورغم هذا فإن العقل البشرى الذى يريد الجنة وما فيها من عنب ورمان وحسان، فسوف يجد بفضل اللَّه تعالى عنبا ورمانا وحسانا كما وعده

ربه، ووعده الصادق، فإن لهم فيها ما يشتهون، ومن أصدق من اللَّه قيلاً!!!

ويقول ﷺ فيما رواه الترمذى عن السيدة عائشة رضى اللَّه عنها أنها سألت رسول اللَّه ﷺ بم ينعم الناس فى الآخرة، فأجابها بأن العبد ينعم على قدر عقله فسألت : أو ليس على قدر عمله ؟ فقال وهل يعمل العبد إلا على قدر عقله فى الدنيا !! فكل عقل وما يريد، وكل عقل وما يفهم.

والجحيم كذلك والعياذ باللَّه، مهما قيل فى عذابها فهى أشد وأنكى وفوق ما يدرك البشر

وبين عشاق النعيم واهل الجحيم تجد قوما آمنين يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة مبشرين ومرحبين، لا ينظرون إلى جنة ولا نار، ولكنهم عبدوا اللَّه تعالى حباً فى اللَّه ولم يريدوا إلا وجهه الكريم ولكل امرئ ما نوى، أولئك رجال يحبهم ويحبونه، لا يريدون سواه ولا ينظرون لغيره، ويساقون إلى الجنة بالسلاسل ويقولون لا ندخل حتى نرى ربنا، اللَّه أكبر اللَّه أكبر، والذين آمنوا أشد حباً للَّه.

﴿... ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ...﴾(الروم-٣٨)، ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ...﴾(الكهف-٢٨)، فافهم.

روى الطبرانى عن أبى أمامة وروى أبو نعيم عن أبى هريرة قوله ﷺ "عجبت لأقوام يساقون إلى الجنة فى السلاسل وهم كارهون"، وروى أحمد والبخارى وأبو داوود عن أبى هريرة قوله ﷺ "عجب ربنا من قوم يعادون إلى الجنة فى السلاسل" ، وروى أحمد والطبرانى عن

سهل بن سعد قول رسول اللَّهﷺ " ضحكت من ناس يأتونك من قبل المشرق ويساقون إلى الجنة وهم كارهون" فى أحاديث كلها صحيحة.

ثم الجنة جنات، فمنها الفردوس الأعلى، ومنها عليون، ومنها جنة النعيم، وجنات عدن، وجنات الخلد، والمأوى، ومنها واحدة فقط هى التى يدخلها العبد بعمله، امّا الباقيات فبفضل اللَّه تعالى ورحمته، وهذا يفسر قول رسول اللَّه ﷺ الذى رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى اللَّه عنها " لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول اللَّه، قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى اللَّه تعالى رحمته" فجنة واحدة للعمل، وجنان أخرى لفضل اللَّه تعالى فافهم.

والنار كذلك درجات فمنها سقر، ومنها سجين، ومنها ويل، ومنها الجحيم ويكفينا ما ورد فى وصفها فى كتاب اللَّه تعالى.. فالحساب حق، والجنة حق، والنار حق، والصراط حق، والميزان حق وأشهد أن لا إله إلا اللَّه أن محمداً رسول اللَّه صدقاً، ولتعلم أن العذاب والنعيم إنما يكونان للروح والجسد معاً، فالاحياء تبعث يوم القيامة والنفوس تزوج بالجسد.

وانظر إلى ما وصف اللَّه به بعض مشاهد يوم القيامة فى القرآن الكريم حيث يقول فى سورة ق:

﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِى غَفۡلَةٍ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ

إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ
أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ
قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ
﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾
مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ
ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

و يقول فى سورة الغاشية : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ
ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ
﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ
فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾

ويقــول تعالى فى سورة طه-٩٩ إلى١١٢:

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن
لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾
خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ
وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا
عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ

إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾
فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾ يَوۡمَئِذٖ
يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا
تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴿١٠٨﴾ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ
وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ
بِهِۦ عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ
ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا
وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾ ﴾

ويقول جلّ شأنه فى سورة النبأ:

﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ
أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا
﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا
شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا
يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ
كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾
حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ
فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ ﴾

• الإيمان بعذاب القبر ونعيمه :

وهو من الإيمان باليوم الآخر، وهو حق ثابت تواترت به الأحاديث الشريفة حيث ذكر البخارى أنَّهُ كان ﷺ يستعيذ من عذاب القبر ومن شتات الأمر ومن شر فتنة المحيا والممات، وعندما مر ﷺ على قبرين قال إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أمّا الأول فإنه كان لا يستبرئ من بوله، وأما الأخر فإنه كان يمشى بالنميمة بين الناس، وقال ﷺ " القبر إمّا روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار " أو كما قال رسول اللَّه ﷺ فيما رواه الترمذى.

ويقول تعالى فى سورة الواقعة:

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

وواضح أن هذا الوعد والوعيد إذا بلغت الروح الحلقوم، وهى لحظة انفصال الروح عن الجسد، أى لحظة الموت، ففيها تنكشف الحقائق ويدرك ما لا يقال، ويقول تعالى فى سورة محمد: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾

و يقول اللَّه تعالى عن آل فرعون فى سورة غافر: ﴿ ٱلنَّارُ

يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ يدل على أن هذا العرض على النار فى الغدو والعشى إنَّما يكون قبل أن تقوم الساعة.

ذلك ان الميت إذا انفصلت روحه عن جسده فكل منهما يصير إلى ما كان منه، الجسد إلى التراب، والروح إلى عالمها، ولا تنقطع صلتها بالجسد حتى وإن تقطع اربا أو تحول إلى رماد وغازات، وهذه الأرواح تعود إلى مكان، لا هو من الدنيا فقد انقطعت صلتها بها بموت الجسد ولا هو فى الآخرة، فإن الآخرة لم تحن بعد، فهذا المكان له وجهان، وجه إلى الدنيا، ووجه إلى الآخرة، ولذلك يسمى "برزخاً"، والبرزخ فى اللغة هو الشئ ذو الصفتين المختلفتين، كالبرزخ بين البحر المالح ماؤه والبحر العذب ماؤه، فحيث التقاء البحرين، والمائين العذب والمالح يسمى برزخاً.

فبرزخ الأرواح يشرف على الجنة والنار أى الآخرة، ويشرف على الدنيا، فالروح إذا أشرفت من البرزخ على النعيم أحسَّ الجسد بذلك، واذا أشرفت على الجحيم شعر الجسد بذلك، ومن هنا كان عذاب القبر أو نعيمه، ولا تسل عن الكيفية والتفاصيل فإن ذلك من عوالم الملكوت وعالم الروح ولا يدرك بالعقل البشرى المجرد، ولقد قيل ان نسبة اتساع البرزخ إلى الدنيا كنسبة اتساع الدنيا إلى رحم الأم.

ولقد قال ﷺ فى حديثه كما رواه البخارى "إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل - محمد ﷺ ؟؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللَّه به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا، وأما المنافق أو الكافر فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول لا أدرى كنت أقول

ما يقول الناس فيقال له : لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين " (أى غير الأنس والجن).

وقد ورد أن السنة فى زيارة القبور هى أن تلقى السلام عليهم وتترحم عليهم فى دعائك.

روى عن ابن أبى الدنيا وابن عبد البر عن السيدة عائشة رضى اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ " ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا أستأنس به ورد عليه حتى يقوم "

ولولا أن الميت يشعر ويحس لما كان من السنة إلقاء السلام عليه، بلْ إن رسول اللَّه ﷺ يقول " إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره " رواه أحمد، لذلك يقول ﷺ عندما سئل هل يسمع الموتى وذلك عندما كان يخاطب قتلى المشركين فى غزوة بدر فقال " إنهم لأسمع إلى منكم " كما رواه مسلم عن عمر ابن الخطاب ويقول ﷺ: " إن الميت ليسمع قرع نعال مشيعيه.."، كما ذكره ابن المبارك عن عبداللَّه بن عمير وقد ورد عن كثير من الصحابه ومنهم سيدنا عمرو بن العاص، وصاياهم بأنهم إذا دفنوا أن يجتمع أهلهم ومن يحبونهم ليستغفروا اللَّه لهم ساعة بعد الدفن على قدر نحر جزور وتفريق لحمه، حتى يأتنس بهم خلال سؤال الملكين، وقدوتهم فى هذا هو سيدنا رسول اللَّه ﷺ حيث قال للمشيعين بعد الدفن "استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الأن يسأل.." كما رواه الحاكم وابو داود.

ويروى الترمذى عن أبى سعيد فى الحديث الصحيح قول ﷺ "فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أمّا إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلى، فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك، فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة ".

فبعد السؤال، يوسع للميت فى قبره، ويفتح له فيه باب إلى الجنة

إذا كان عمله صالحا، ويضيق عليه فى قبره، ويفتح له باب إلى النار إن كان غير ذلك والعياذ باللَّه، ويعرض عليه مقعده من الجنة أو النار غدواً وعشياً كما ورد فى الحديث.

وقد أوحى اللَّه إلى الأرض ألا تأكل أجساد الأنبياء، كما قال ﷺ ورواه أحمد والحاكم وغيرهم.

وقيل ان الأرض لا تأكل جسد قارئ القرآن المحتسب، أمّا الروح فهى على قدر صلاحها ومعرفتها بربها جَلَّ شأنه، فعلى قدر علمها باللَّه وحبها له تكون منطلقة فى عالم البرزخ تزور وتزار وتروح وتجئ، أمّا إذا كانت غير ذلك فإنما تلعب بها الشياطين كما يلعب الصبيان بالكرة، وروى الإمام أحمد ومسلم عن أبى هريرة قول الرسول ﷺ " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " فكيف ترى أنت من انطلق من سجنه وانفك عن أسره !!! ذلك ان النفس النقية الصالحة كان الجسد يعوقها عن الانطلاق قبل الموت بحكم ماديته، امّا وقد تخلصت من القيود البشرية فلها حرية اكبر وطاقة أعظم.

والكلام فى هذا الأمر جد خطير وفيه من الأسرار الكثير، وخلاصة قولنا فيه، أنَّهُ من الضرورى الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، والبعث منه يوم القيامة.

وليس المهم أن يكون الميت قد دفن فى قبر، فإن من أكلته الوحوش أو الأسماك أو مات محترقا وغير ذلك يحاسب أيضا فى قبره، ويكون قبره إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وإن من خلقه وسواه وعدله قادر جَلَّ شأنه على أن يجمعه ويجمع ذرات جسده من كل مكان ويسوى بنانه ويسأله ويعذبه أو ينعمه، جَلَّ جلال اللَّه القادر، ألا ترى ان كل خلية فى جسدك فيها صفاتك الوراثية الخاصة بك كأنها مختومة بختم خاص، فذرات جسدك معروفة حتى ولو تفرقت

فى كل اتجاه.

ولا تظن ان عذاب القبر أو نعيمه هو شئ مادى نستطيع رؤيته أو الإحساس به، فذلك محال لأنه من عوالم الملكوت، وعوالم الملكوت كما سبق القول لا تدرك الا بالنفس وقواها الداخلية وليس بالحس المشترك ولا الأحاسيس البشرية، فشتان ما بين عالم الملك و عالم الملكوت وإذا أردت مثالا بسيطا للعذاب والعقاب فى القبر، فانظر إلى حالك أثناء النوم وكيف ترى مناما طيبا فتقوم هنئ النفس راضى البال مستريحا مطمئنا، وكيف ترى مناما مزعجا فى دقائق قصيرة فتقوم من نومك صارخا مجهدا مكروبا متألما، بلْ وتحمد اللَّه تعالى على يقظتك مما كان معك خلال نومك، فهذا مثل بسيط يضربه اللَّه تعالى لك لتوقن بالعذاب والنعيم بعد الموت.

يقول ﷺ فى الحديث المتفق عليه "يتبع الميت ثلاثة، أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله".

وفى مسند الأمام أحمد أنه ﷺ قال "إن الميت إذا وضع فى قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه - فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه" إلخ. الحديث.

ونشير هنا إلى نقطة جوهرية هى أنَّ الماديات فى عالم المادة تظهر فى صور معنوية فى عوالم الملكوت، كما أنَّ المعنويات فى عالم المادة تتجسد فى العوالم الأخرى.

فالصلاة والصيام والأفعال الصالحة تتمثل فى القبر بصور لها كيان وتدافع عن صاحبه فى قبره وتشهد له..

كما أنَّ أماكن الوضوء للمسلم تصبح نورا يوم القيامة، ولذلك تسمى الأمّة المحمدية بالغر المحجَّلين من غرة الوجه والتحجيل فى

الأيدى والأرجل من أثر أنوار الوضوء.

وتلاحظ كذلك أن ثواب الأعمال والطاعات فى الدنيا يختلف فى الآخرة تبعا لاختلاف أنواعها، فغرسُ الجنة كما يقول سيدنا إبراهيم لرسول اللَّه ﷺ ليلة الإسراء والمعراج هو : سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، كما يبشّر ﷺ من غدا إلى المسجد أو راح إليهِ أنَّ اللَّه سبحانه يبنى له بيتا فى الجنة كلما غدا أو راح، وثواب الصائمين أن يدخلوا الجنة من باب مخصوص بهم يسمى الريان.

ومن هذا ترى أنّ لكل عمل ثمرة مختلفة، فأنت فى الحقيقة بعملك الصالح تزرع فى الجنة واللَّه تعالى يباركه ويزكيه وينميه ثم تتنعم به.

وحيث إن أعمال البر لا تتناهى فى التنوع ودرجات الإخلاص فيها، فكذلك نعم الجنة لا تتناهى فى النوعية والدرجات، وسبحان المنعم على عبيده المتفضل عليهم بالهداية والتوفيق للخير فى الدنيا، ثم بالثواب وحسن الجزاء فى الآخرة.

ويقول تعالى فى سورة إبراهيم-٢٤إلى ٢٧ :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ
ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾
تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ
ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا
يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

وأفهم منها ان الكلمة الطيبة هى قول " لا إله إلا اللّه " أصلها ثابت فى قلب المؤمن وهو على الأرض وفرعها فى السماء، عند اللّه، تؤتى أكلها كل حين، من ثمار الجنة ونعيمها، بإذن ربها، بفضله وجوده وتزكيته ورضاه ويثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت، وهو التوحيد له جَلَّ شأنه فى الحياة الدنيا، وفى الآخرة، عند سؤال الملكين فى القبر.

ولا حظ ان كل أفعال الخير فى الدنيا تتحول إلى أنوار يوم القيامة وبعد الموت :﴿... يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ...﴾ (التحريم –٨)

والنور هو نور المعرفة باللّه تعالى، فافهم.

فالمؤمن فى نور، والكافر فى ظلام وعمى، وهل هناك أعلى وأجل وأعظم من معرفة اللّه تعالى !!!

واعلم ان لا أحد من خلق اللّه تعالى يستطيع أن يأتى فى حياته بكل أنواع البر والطاعات كما أمر اللّه تعالى فى كتابه وسنة رسوله ﷺ، فكل ميسر لما خلق له، إلا رسول اللّه ﷺ، فهو الإنسان الكامل والعبد الخالص للّه تعالى الذى أفعاله واقواله وأحواله بلْ وأنفاسه كلها عبادة خالصة للّه تعالى، فلا يغفل عن اللّه طرفة عين ولا اقل من ذلك.

لذلك كان من البدهى ان تكون " الوسيلة " – وهى درجة فى الجنة لا تنبغى ان تكون إلا لعبد من عباد اللّه كما يقول ﷺ– له هو عليه الصلاة والسلام من دون البشر، ومن مثل محمد !!!.

ومن فى مثل أدبه، وخلقه، وعلمه، وعبادته ﷺ !!!

واللّه تعالى أعلم..

• الإيمان بالقدر خيره وشره :

والقدر هو أمر اللَّه تعالى وأحكامه الجارية على الموجودات، فهو سبحانه وتعالى القاهر فوق عبده، وهو الفعال لما يريد، وهو اللطيف لما يشاء، وهو جَلَّ شأنه الغالب على امره، فلا ينفذ فى ملك اللَّه إلا ما أراده اللَّه، ولا يكون فى كونه إلا ما شاء اللَّه.

يروى أحمد والترمذى عن ابن عمرو رضى اللَّه عنه قول رسول اللَّه ﷺ " قدر اللَّه المقادير قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة "

فما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، وكل شئ عنده بمقدار وكل شئ عنده فى كتاب مبين.

واعلم أن اللوح المحفوظ هو الشامل الجامع لكل علوم الكائنات الموجودات والمخلوقات وما كان وماسيكون إلى يوم الدين من الأفعال والأقدار، مكتوب بالقلم، أى قلم القدرة الإلهية، والإرادة العالية، فلا القلم كالقلم ولا اللوح كاللوح تعالى اللَّه عما نقول علوا كبيرا.

ولتبسيط الأمر، فإنك وأنت بشرى، إذا أردت ان تسجل فى أمر ما خواطرك أو أوامرك فإنك تكتبه على قرطاس من الورق أو لوح كتابة، وتسجلها بمداد وقلم وتكتبها بحروف وكلمات.

وهذه الحروف والكلمات ليست هى عين ما تريد، ولكنها دالة فقط على ما تريد، فهى وسيلة لإظهار ما تريد ليعرف غيرك ما تريد حيث يقرأ قرطاسك ويفهم حروفك وكلماتك، ألا ترى إلى المهندس يرسم على الورق صورة المنزل، فإذا نظرت إلى اللوحة فهمت أَنَّهُ منزل كبير أو صغير وعلمت مساحته وعدد طوابقه، ونوع بنائه وزخرفة حجراته، إلى

آخره، ولكن هل ما تراه على الورق مرسوما بالقلم، هو نفسه ما تراه عندما يقام هذا المنزل بناء زخرفة وتركيب !!!. الرسم موجود مستقل على الورق، والمنزل القائم موجود آخر، وليس عينه، بلْ إنَّ لهذا الرسم وجودا آخر في خيال راسمه قبل أن تضعه على الورق، فافهم الإشارة.

وللَّه المثل الأعلى تعالى اللَّه عما نقول عُلُوًّا كبيرا، فلا الكتابة هي الكتابة، ولا القلم هو القلم ولا اللوح هو اللوح.يقول تعالى في سورة القمر: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾

ويقول في سورة الحجر-٢١:﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾ ، ويقول في سورة التوبة-٥١ :﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا.... ﴾

ويأمرنا ﷺ "أن نطلب حوائجنا بعزة النفس فإن الأمور تجرى بالمقادير" كما رواه ابن عساكر عن عبد اللَّه بن بسر، ويقول ﷺ لسيدنا عبد اللَّه بن عباس "رفعت الأقلام وجفت الصحف ".

فالقضاء والقدر هما أمور يبديهما اللَّه تعالى في الكون فتحدث كما أراد اللَّه تعالى لها، وهو طبيب العباد جَلَّ شأنه كما ورد في الاحاديث الخاصة بالقضاء والقدر، ولو أن الأنس والجن والأولين والآخرين قاموا في صعيد وأحد وسأل كل منهم ربه ما يريد فأعطاه اللَّه تعالى مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المخيط من ماء البحر إذا غمس فيه كما ورد في الحديث القدسي المشهور، ولكن اللَّه ينزل بقدر ما يشاء.

فاعلم ان كل ما يصيبك هو خير لك، ولطف من اللَّه تعالى بك، ورحمة عليك، ولكنك بعقلك المحدود وتفكيرك السطحي لا تعرف ما

يضرك وما ينفعك، اللّهم إلا إذا نظرت وحكمت بنور شرع اللّه تعالى ونور هداه.

يقول تعالى فى سورة الشورى-٢٧:﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾، **والرزق هو كل شئ يأتيك، فالمال رزق والصحة رزق والبنون رزق والعلم رزق وكل ما يأتيك من اللّه تعالى رزق لك.**

فالرضا بالقضاء أساس عظيم من أسس الإيمان باللّه تعالى وصفاته، أمّا ما يصيبك من سيئة فمن نفسك، إمّا بشهواتك، وإما بسوء تقديرك للأمور، فالخير كله من اللّه تعالى، والشر كله من عندك بأمر اللّه تعالى، فطهِّر نفسك وزكها وارتق بها إلى ملكوت السموات فلا ترى إلا الخير ولا تأمرك إلا بالخير، فافهم..

• صحة الإيمان وزيادته :

من الواضح أن هناك تداخلاً كبيراً بين الإيمان والإسلام،

فإن قلنا إن الإسلام بمفهومه الحقيقى هو إسلام الوجه للّه تعالى والتسليم له بأوامره ونواهيه وحكمه، إذا فهو الإيمان..، يقول تعالى فى سورة النساء- ١٢٥:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ... ﴾ ، **ويقول فىسورةالنمل:**﴿... إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾، **و يقول فى سورة آل عمران - ٥٢ :** ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

ويقول فى سورة الأنبياء-١٠٨ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ ، **ويقول جَلَّ شأنه فى سورة الشعراء :** ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾.. **فالإسلام هو إسلام الوجه للّه، والإيمان هو إيمان القلب باللّه، والقلب السليم هو القلب المؤمن، إلا ترى كيف يصف اللّه تعالى قلوب المنافقين بأنها مريضة فيقول عَزَّ مِنْ قائل:** ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾ **(البقرة-١٠)**

فجعل اللّه تعالى الإيمان هو المنجى يوم القيأمّة، وهو النافع للعبد وإن قل عمله، ولذلك يوصى رسول اللّه ﷺ سيدنا معاذ بن جبل بقوله: "أخلص العمل يجزك منه القليل"، فالميزان والقياس عند اللّه تعالى ليس بالاعمال فقط ولكن بالاساس الذى نبعت منه هذه الأعمال، والتربة المؤمنة التى تزرع فيها، فتثمر وتزهر بإذن اللّه تعالى.

يقول تعالى فى سورة المائدة : ﴿ ...... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾، **والتقوى فى القلب، وأساسها الإيمان وإلا فكيف يتقى اللّه تعالى من لا يؤمن به !!! فلا ينفع إسلام بلا إيمان، ولا يكون إيمان بلا إسلام، ويظل التعريف الشرعى للاسلام بأنَّه الاعمال الظاهرة، والإيمان هو الاعتقاد الباطن، أمّا النفاق والعياذ باللّه فتعريفه هو إظهار العبد خلاف ما يبطن، فالمنافقون هم القوم الذين أبطنوا الكفر فى قلوبهم وأظهروا الإسلام على جوارحهم وبأعمالهم وأفواههم، فلا يتجاوز الإيمان والقول به حناجرهم، ويقول اللّه عنهم فى سورة التوبة :** ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ

كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾،ويقول تعالى: ﴿... إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ... ﴾ (التوبة–٢٨)

فوصف اللَّه تعالى المشركين بأنهم نجس، ووصف المنافقين بأنهم رجس، وقال (النساء– ١٤٥) : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ... ﴾، ويقول في سورة النساء–١٤٠: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ ، ويخاطب اللَّه الأعراب الذين أظهروا الإسلام بقوله:﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ... ﴾(الحجرات–١٤)، وذلك أنَّ الإسلام قد سبق إلى ظواهرهم ولكن قلوبهم خاوية من الإيمان، وذلك بخلاف ما كانت عليه الصحابة رضوان اللَّه عليهم حيث كان الإيمان يسبق إلى قلوبهم كما سيأتي فيما بعد.

وخلاصة القول هو أن الإيمان هو الأساس الذى تنبت فيه الأعمال الصالحة، وعلى قدر هذا الإيمان وعلى قدر ما ينمو الزرع ويترعرع ويكون الثواب باذن اللَّه، والقلب السليم، والإيمان الكامل، واليقين الصادق، والنية الخالصة للَّه تعالى، كل هذا هو أساس تقوى اللَّه وعبادته الحقة، وأساس القبول عند اللَّه تعالى إن شاء اللَّه.

غير أنَّ الإسلام وأعماله ومظاهره هى التى لها قياس ظاهر عند الناس، وهو إقامة شرع اللَّه تعالى فى المجتمع وبين الناس، فتقام الصلاة ويصام رمضان، وتدفع الزكاة، ويتم الحج إلى بيت اللَّه الحرام، ولا ترتكب المحرمات ولا تنتهك الحدود، وهذه أمور يستقيم بها حال المجتمع والناس، ولذلك كان مقياسها ظاهراً لكل حالة من حالات الإخلال بها، فتارك الصلاة له حكمه، ومفطر رمضان بلا عذر له حكمه،

ومانع الزكاة له حكمه، والزانى والسارق وخلافهما لهم أحكامهم.

أَمَّا الإيمان فاللَّه اعلم به فى القلوب، وحساب القلوب على اللَّه، يقول ﷺ " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأنى رسول اللَّه فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللَّه " كما رواه البخارى ومسلم وغيرهم عن أبى هريرة فالعاصم من القتال هو القول باللسان، وحق لا إله إلا اللَّه هو إقامة الشريعة، فهذا المظهر الاسلامى فى المجتمع فلابد وان يكون، امّا الإيمان بالقلب فحكمه إلى اللَّه، لذلك يقول تعالى فى سورة النجم-٣٢:﴿... فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾، فاللَّه تعالى هو وحده العالم بالتقوى فى القلوب، والإخلاص فيها، وليس للبشر في ذلك ميزان ظاهر إلا أن يُحسنوا الظن بالمسلم إذا أقام حدود شرع اللَّه تعالى.

لذلك يقول جَلّ شأنه (غافر-١٩): ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾. ويقول فى سورة طه: ﴿... فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾، ويقول فى سورة آل عمران:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥﴾، ويقول:﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ (الأنعام-١٢٠)

فأسرار القلوب وصدق إيمانها وإخلاصها للَّه تعالى لا يخفى عليه جَلّ شأنه، فوسواس الصدور كالعلانية عنده، ولكى يكون العمل مقبولا عند اللَّه فلابد أن يكون طيبا ظاهرا باطنا، والأعمال لها ظاهر ولها باطن، والإثم منه ظاهر ومنه باطن.

واللَّه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن إشراك غيره تعالى معه فى

نية العمل، فمن عمل عملا يقصد به وجه اللَّه والناس فهو للناس من دون اللَّه واللَّه غنى عنه وعن عمله ولا يقبل له شريكا.

ويقول ﷺ "إن اللَّه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"، فاتقان العمل، وإخلاص النية للَّه تعالى هما ركنا العمل المقبول عند اللَّه بإذن اللَّه، أى اشتراك الظاهر مع الباطن.

لذلك فالنفاق والعياذ باللَّه من أخطر امراض القلب، وبسببه تصبح الأعمال هباء منثورا، لا جزاء لها عند اللَّه، والمسلم لا يخلو من النفاق الا بقدر ما يخلو عما نهى عنه اللَّه ورسوله، انظر إلى قوله ﷺ "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" - متفق عليه، فالنفاق يدخل إلى القلوب على قدر ما فى الإنسان من هذه الصفات.

والرياء من امراض القلب، وهو مراعاة غير اللَّه تعالى فى نيته، فإن تصدق فلكى يقال عنه كريم، وإن صلى أو صام فلكى يقال عنه عابد، وهكذا، وهذا هو الشرك الأصغر.

يقول تعالى فى سورة الماعون: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾

و يقول (البقرة-١٤) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ

فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾، فالذى ينفق ماله رياء واستجلابا لمدح الناس وحسن ظنهم ولا يقصد وجه اللَّه تعالى فمثله كمثل حجر أملس عليه تراب ثم نزل عليه المطر فغسله غسلا فهل يبقى عليه أثر للتراب !!! كذلك يذهب الرياء ثواب أفعاله فلا يترك له شيئا.

وأمراض القلوب كثيرة وسوف نتعرض لشرحها فى الأبواب القادمة بإذن اللَّه.

يقول ﷺ "إن الإيمان ليخلق فى جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا اللَّه أن يجدد الإيمان فى قلوبكم " رواه الطبرانى والحاكم عن ابن عمرو وقال حديث حسن.

كما يقول ﷺ "جددوا إيمانكم، أكثروا من قول لا إله إلا اللَّه " رواه أحمد والحاكم عن أبى هريرة. حديث حسن.

ولكن ما قصدنا قوله هو ان للإيمان صحة، ومرضا، وزيادة ونقصانا، فكما قلنا ان القلب المؤمن تنبسط له الجوارح بالطاعات، لذلك إن فعل الطاعات واجتناب المعاصى ويزيد فى الإيمان وينير القلب بنور اللَّه ويذهب عنه الرين الذى قال اللَّه عنه فى سورة المطففين-١٤: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ، فكل معصية يرتكبها العبد تترك نقطة سوداء على القلب حتى تغلفه كله بالسواد وتحجبه عن أنوار الإيمان فذلك هو الرين كما فسره رسول اللَّه ﷺ أمّا الطاعات فإنّها تجلى هذا الرين وتمحوه كما يمحى الصدأ عن الحديد، ويقول تعالى فى سورة العنكبوت :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ ويقول:﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴾

(مريم-٧٦) ، ويقول فى سورة محمد-١٧:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾، وهكذا يترقى المؤمن بالعمل الصالح حيث يزيد إيمانه وبزيادة إيمانه يزيد فى العمل الصالح، وهكذا من خير إلى خير ويزيد اللّٰه الذين اهتدوا هدى.

والصلاة وذكر اللّٰه تعالى تزيد الإيمان فى القلوب، يقول جَلَّ وعلا فى سورة العنكبوت-٤٥ :﴿... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾، ويقول فى سورة الرعد-٢٨:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾، فذكر اللّٰه تعالى هو غذاء القلب المؤمن وجلاء بصيرته وطمأنينة نفسه وروحه، وليس هناك أجلب للخواطر الرحمانية ولا أقطع للخواطر الشيطانية عن القلب من ذكر اللّٰه تعالى.

واعلم إن هناك فرقا بين ذكر اللّٰه.. وذكر اسم اللّٰه، فذكر الاسم باللسان يقول تعالىفى سورة المزمل:﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾،ويقول فى سورة الإنسان:﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ويقول فى سورة الأعراف -١٨٠: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ... ﴾

ولكن ذكر اللّٰه تعالى يكون بالقلب، بالتذكر والتدبر فى ملكوت اللّٰه والاستغراق فى معانى الاسماء الحسنى والصفات السنية، لذلك يقول جَلَّ شأنه فى سورة النور-٣٧: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ... ﴾، ويقول فى سورة الأعراف:﴿ إِنَّ

ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾

ولذلك يصف اللَّه تعالى القلب الغافل من ذكر اللَّه تعالى والقلب الذاكر بالبئر المعطلة والقصر المشيد، البئر المعطلة بما فيها من هوام وحشرات النفس البشرية الحيوانية، والقصر المشيد العامر المنير بنور الإيمان وأنوار الذكر.

وكلما ازدادت الخواطر الرحمانية فى القلب، كلما تعلق بعالم الملكوت وانكشفت له أسراره، وهان عليه أمر الدنيا وما فيها، وجد واجتهد فى أمور آخرته ومن هنا يأتى قوة إيمان الصحابة رضى اللَّه عنهم أجمعين.

• إيمان الصحابة وسبق الإيمان إلى قلوبهم :

يقول ﷺ عن سيدنا أبى بكر الصديق عليه رضوان اللَّه إن إيمانه لو وزن بإيمان العالمين لرجح ميزانه كما رواه البيهقى ويقول ﷺ "ما فضل أبو بكر الناس بفضل صيام ولا بكثرة صلاة ولكن بشئ وقر فى قلبه". كما رواه الترمذى فى النوادر.

ويقول عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه إنه من المُحَدَّثين، أى المُحَدَّثين من قبل الملائكة.. ويقول له : "الشيطان يخاف منك يا عمر " ويقول عنه أنه ما سلك ابن الخطاب فجاً إلا سلك الشيطان فجاً آخراً..

ويقول عن سيدنا عثمان بن عفان رضى اللَّه عنه إن الملائكة لتستحى منه.

ويقول لسيدنا على بن أبى طالب " أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ".

ويقول عن الزبير بن العوام " إن لكل نبى حوارى، وإن حوارى الزبير بن العوام ".

ويقول لبلال بن رباح " سمعت دفَّ نعليك فى الجنة ".

ويقول عن خالد بن الوليد " سيف من سيوف اللّه مسلول ".

ويقول عن سيدنا سعد بن معاذ " اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ".

ويقول لسيدنا أبى عبيدة بن الجراح إنه أمين هذه الأمّة.

ويقول عن سيدنا الحسن بن على " ابنى هذا سيد ولعل اللّه ان يصلح به بين فئتين من المسلمين".

ويقول " الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه اللّه ومن أبغضهم أبغضه اللّه ".

ويقول " لا تسبوا أصحابى من بعدى فإن أحدكم لو انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "

وذكر البخارى الكثير من هذه الأحاديث وغيرها عن الصحابة.

ومن الصحابة من كانت الملائكة تستمع لتلاوته للقرآن.. ومنهم من كانت تسلم عليه الملائكة.. ومنهم من كان مستجاب الدعوة.. ومنهم من كان يعلم النفاق والمنافقين..، وفى كل منهم قوة خاصة وميزة له..

والحقيقة هى التى ذكرها اللّه تعالى فى كتابه وهى:﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ... ﴾ (القصص-٦٨)، فالخيرة من اللّه تعالى.. فهو الذى يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس.. وهو الذى اصطفى آدم

ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين.. وهو الذى اصطفى مريم وطهرها واصطفاها على نساء العالمين.. فالخيرة من اللّه تعالى والإعداد والتربية والإيمان والأدب والخلق هى هبات من رب العالمين، ألا ترى إلى قوله ﷺ " أدبنى ربى فأحسن تأديبى"....

فإذا كان اللّه تعالى قد اختار محمداﷺ من خيرة الأنبياء وجعله سيد الأولين والآخرين وسيد ولد آدم اجمعين.. فباللّه عليك ماذا تنتظر أن يكون صحبه الكرام وكيف يكون رفقاء جهاده فى سبيل اللّه!.

صدق رسول اللّه ﷺحيث يقول عنهم أنَّهم خير القرون.

يقول تعالى فى سورة الفتح-١٨:﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ...﴾، ويقول ﷺ عن أهل بدر لعل اللّه قد اطلع عليهم فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وانظر إليهم مهاجرين إلى الحبشة.. ثم إلى المدينة تاركين أموالهم وأهليهم ونعيم الدنيا كله مهاجرين فى سبيل اللّه تعالى ولا يدرون كيف سيكون حالهم فيها وهل سيجدون قوتهم ومن يأويهم أم لا!!! هجرة فى سبيل اللّه تعالى بكل الدنيا وما فيها...

وانظر إليهم أنصارا وكيف يستقبلون إخوانهم المهاجرين.. وكيف يعرضون عليهم أموالهم وكل متاع دنياهم ليتقاسموه معهم بنفوس راضية مستبشرة.. ويضمون رسول اللّه ﷺ إليهم وهم يعلمون أن العرب ساعتئذ كانت كلها ضده متربصة به وبدعوته.

رضى اللّه عن المهاجرين والأنصار وعن أصحاب رسول اللّه أجمعين وجزاهم اللّه عما قدموه للإسلام خير الجزاء.

إن أعلى وأشرف وصف يطلق على المؤمن هو أن يقال أنَّهُ

صحابى...، ثم بدرى...، أو من أهل البيعة..، أو من المبشرين بالجنة..، أو من الأنصار، أو المهاجرين.

وكيف لا يكون إيمانهم كالجبال الرواسخ وبينهم رسول اللَّهﷺ بروحه وجسده.. والسماء موصولة بالأرض.. والوحى يسعى بينهم.. ونور الإيمان يشع على كل مكان. وعلى كل مخلوق !!!

واذا كان رسول اللَّه ﷺ يتحدث عن جليس الخير وأنه كبائع المسك إما أن ينفحك وإما أن تشترى منه وإما أن تجد عنده ريحا طيبا..، فكيف بمن كان بينهم أصل المسك وجوهره... ؟ وليس بائعه !!؟، منبع النور والإيمان محمد ﷺ يمشى بينهم ويحدثهم ويؤاكلهم ويؤانسهم بذاته وجسده وروحه وأنواره.. فكيف لا يعطيهم.. وكيف لا يشترون منه!! وكيف لا يجدون عنده ريحا طيبا!! بلْ وأىُّ ريح طيب !! وهم يصبحون ويمسون على نور وجهه الكريم المبارك وتمدهم ذاته الشريفة بأنوار الملكوت !!.

لقد علمنا من فضل اللَّه تعالى أن من يتشرف برؤية رسول اللَّهﷺ فى المنام يظل أياما وأياما فى سكينة روحية وقوة إيمانية لا مثيل لها فى أى طاعة أو عبادة يتقرب بها إلى اللَّه...، فكيف بمن يراه يقظة لا مناما..، ويحادثه ويتعلم منه.. كيف بمن يعيش معه وبه وفيه ﷺ!!!.

إن روح رسول اللَّه ﷺ وهى مهبط الوحى ومركز الأنوار وأصل الإشعاع الربانى على العباد وباب العلم باللَّه تعالى.. ومصدر الهداية الربانية كانت تمدهم مباشرة..، كانت تمد أرواحهم ونفوسهم بالإيمان الكامل واليقين المطلق وسعادة الدنيا والآخرة..،

وصدق رسول اللَّه ﷺ حيث يقول أنَّ أصحابه كالنجوم فبأيهم اقتدينا اهتدينا.. فهم مصابيح الدجى.. ونور الهداية سارية فيهم من سيد الخلق أجمعين مباشرة دون حجاب ولا وسيط..

فكيف لا يكون كل واحد منهم نورا يهتدى به !!.

انظر كيف كانوا يتلقون القرآن الكريم من رسول اللَّه ﷺ، وكيف كان عمر بن الخطاب يمرض ويلزم منزله ويعوده الصحابة رضوان اللَّه عليهم متى سمع بضع آيات من كتاب اللَّه.. وكيف لا وقد كانت الآيات تلامس قلبه وروحه وجسده وكل كيانه. فلا تتحملها طاقته البشرية فَيُحَمُّ ويَعْتَلُّ ويلزم منزله.، أليس هو قولا ثقيلا ؟ ألم يخاطب ربنا جَلَّ شأنه رسوله بقوله فى سورة المزمل:﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝ ﴾، وانظر إلى ابن الخطاب حين قرأ الفاتحة على الملدوغ بالعقرب فشفاه اللَّه.. وعندما قلده الاعرابى وقرأ الفاتحة على الملدوغ لم يُشف.. فقال ﷺ باسماً "الفاتحة هى الفاتحة.. ولكن أين عمر " صدقت يا رسول اللَّه أين عمر!!! أين إيمان عمر !!! أين روح عمر !!!.

أولئك قوم كانوا يقرأون القرآن بأرواحهم وقلوبهم ودمائهم وأجسادهم فكانت المعانى تدور فى قلوبهم وبشريتهم فتصبغها بنور القرآن وحكمة الآيات.. وأسرار التنزيل.،، وكنت إذا مررت بالمدينة وقت السحر تسمع فى طرقاتها أزيزاً كأزيز النحل من التالين لكتاب اللَّه والذاكرين اللَّه تعالى فى بيوتهم وخلواتهم مع اللَّه.. كل يجتهد فى منزله.. قائما بالقرآن... ساهرا بالذكر يتلو ويتدبر.، وما بين تلاوة قرآن... وذكر اللَّه.. والأخذ من رسول اللَّه.. كانت تتنزل الرحمات.. وتنكشف الأسرار.. وتنجلى الحقائق..

انظر إلى رسول اللَّه ﷺ يسأل سيدنا حارثة أو حذيفة على روايتين كيف أصبحت !! فيرد على رسول اللَّه ﷺ "أصبحت باللَّه مؤمناً".، فسأله الرسول لكل شئ حقيقة، فما حقيقة إيمانك. فيقول رضى اللَّه عنه مقررا ما هو فيه : عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها ومدرها.. ولو كُشف الغطاء ما ازددت يقينا وكأنى أرى عرش الرحمن بارزاً... وكأنى

أرى أهل الجنة يتزاورون.. وكأنى اسمع أهل النار يتعاوون فيها.. فيرد عليه ﷺ عرفت فالزم.. عرفت فالزم.

هؤلاء هم العارفون باللَّه تعالى.. العالمون به وبجلاله وعظمته.. لقد كانوا أرواحا تمشى على الأرض.. اشترى اللَّه منهم أنفسهم وأموالهم ودنياهم فباعوها.. وربح البيع.. فطوبى لهم..

أولئك هم الذين طبع اللَّه فى قلوبهم الإيمان وحببه إليهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان.، وأولئك هم الراشدون رضى اللَّه عنهم أجمعين..

ورغما عن هذا.. وبجوار هؤلاء القمم الأعلام. والنفوس الزكِيَّة، كان فى المدينة منافقون !!!. مردوا على النفاق.. ولم يرد اللَّه لهم الهداية.. وكانوا شوكة فى جنب المؤمنين والإسلام.. وكان هناك قوم من الأعراب أسلموا ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم بعد.

ومن ذلك نستجلى معنى دقيقا..

ذلك هو أن الصحابة رضوان اللَّه عليهم قد سبق الإيمان إلى قلوبهم..، آمنوا أولا.. وانطبع الإيمان فى أرواحهم ونفوسهم واستنارت قلوبهم بأنوار الإيمان.. وامتلأت بحب اللَّه ورسوله.. فانبسطت جوارحهم بالطاعات، وانشرحت صدورهم للإسلام وأوامره، فهان عليهم تغيير صفاتهم وأوصاف الجاهلية فيهم.. واستبدالها بخلق الإيمان والإحسان.

يقول تعالى فى سورة البقرة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ

ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾، فسبق الإيمان إلى القلب قد هيأهم لقبول أنوار رسول الله ﷺ

أمَّا ما نراه اليوم وقد انشغل الناس بالدنيا وماديتها.. وضعف الاهتمام بالدعوة إلى الله عما كانت عليه في صدر الاسلام.. فقد صار المسلم مسلما وراثة عن أبيه وجده.. ولا وقت عنده لتدبر أو تبصر ليزيد إيمانه ويرسخ يقينه.. فصار قلبه خاويا أو يكاد.. وإيمانه ضعيفا ويقينه مزعزعا، وصارت تعاليم الاسلام عنده قيودا.. والأوامر والنواهي ثقيلة على النفس.. فأصبح لا يعرف كيف يحب الله ورسوله.. ولا كيف يعبد الله حبا فيه وامتثالا لأوامره جَلَّ شأنه، وشكرا على نعمِهِ، بلْ صار يجادل ويناقش حتى في الأوامر الإلاهية ويسأل عن سر هذا ومعنى ذاك يريد أن يحيط بعقله البشري أسرار العبادات..، وهيهات ثم هيهات له أن يهدأ له بال أو يستقر على حال..، فلا هو قد اطمئن قلبه بالله تسليما.. ولا انشرح صدره للإسلام يقينا.. فوقع في مجاهدة صعبة إلا بتوفيق الله تعالى..

اللَّهم إلا من هداه الله إلى العمل الصالح.

لذلك نقول إن سبق الإيمان إلى القلوب ييسر الطاعة ويحبب الإسلام إلى النفس..، أمّا من سبق إليهِ الإسلام فأمامه مجاهدة كبيرة حتى تنجلي له علوم القلوب ويرسخ فيه الإيمان..، وهذا هو أساس التربية في الإسلام..

غير أن الفطرة السليمة.. والعقل المعتدل.. مؤمن بالله تعالى بطبعه فالإيمان بالله موجود في كل نفس.. يقول تعالى في سورة الروم-٣٠: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ... ﴾ ، ويقول ﷺ في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة "ما من مولود إلا

ويولد على الفطرة وإنما أبواه ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه "..، فاللّه قد فطر الناس والنفوس على الإيمان الصحيح.، ولكن النفس بحلولها فى الجسد وانشغالها بالدنيا وماديا تها تغير منطقها وتفكيرها فنسيت ما كانت عليه فلزم لها جهاد حتى تعود إلى فطرتها السليمة..،

يقول تعالى فى سورة الأعراف-١٧٢ :﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ ... ﴾، فقد سبق للنفوس المجردة الإيمان باللّه.. وأخذ اللّه عليها العهد والميثاق.. وهذا يفسر قولنا ان روح الكافر مؤمنة أيضا عارفة بربها، ولكن حجاب البشرية قد أنساها هذا العهد وباعد بينه وبينها.. كما نسيت حياتها فى رحم الأم.. وكما نسيت طفولتها الاولى المبكرة.

فإذا جاهد الإنسان نفسه البشرية. وتعلق بعالم الغيب كما قلنا فى الباب الأول والباب الثانى وانكشفت له الحقائق رجعت إلى إيمانها الأول وتدفقت الأنوار القديمة التى فيها بنور الإيمان الأسبق إليها، وانقدحت بصيرتها.

وهذا يفسر قوله تعالى فى سورة ق-٢٢:﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ ﴾، فالغفلة إنّما كانت من بشريتك ونزولك إلى درك الحيوانية، فكشفنا عنك غطاءك بنور الإيمان..، فاحتد بصرك.. وانقدحت بصيرتك.. فرأيت ما كنت عنه غافلا، وفهمت ما كنت له جاهلا..، فنحن لم نحجب عنك شيئا من التجليات والأنوار..، ولكن حجبتك نفسك.. وصفاتك الحيوانية..

فطهر نفسك تزال الحجب بيننا وبينك، واقترب منا ترانا، وصدق اللّه تعالى:﴿... وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ (العلق-١٩)، اسجد للّه..

اسجد بوجهك وجسدك.. اسجد بروحك ونفسك.. اسجد لعظمتنا وجلالنا وجمالنا.. اسجد دائما وأنت فى كل حالة.. قائما وقاعدا وسائرا ونائما ويقظانا.. تقترب منا.

ألم يقل رسول اللَّه ﷺ "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد "، فذلة العبودية لعزة الالوهية هى باب الخير.،. انظر كيف يصف اللَّه تعالى أنبياءه وخيرة خلقه بأنهم عباده.،. فيقول:﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ... ﴾ (ص-٤١)، ويقول:﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ... ﴾ (ص-٤٥)، ويقول:﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (ص-٣٠)، ويقول فى سورة الإسراء :﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴿٣﴾ ﴾

ولقد كان سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وسلام على ما أوتى من ملك وسلطان لا ينبغي لأحد من بعده.. كان إذا دخل المسجد يبحث عن مسكين يجلس بجانبه ويقول فى نفسه "مسكين جالس مسكيناً"،

فالعبودية الكاملة هى غاية ما يصل إليهِ العبد المقرب من اللَّه تعالى.،. وقد كان رسولنا ﷺ لا يتكئ على طعام ويقول " إنما أنا عبد أجلس مثل ما يجلس العبد وآكل مثلما يأكل العبد "، وعندما سألته أم المؤمنين السيدة عائشة رضى اللَّه عنها أن يرفق بنفسه وقد غفر اللَّه تعالى له ما تقدم وما تأخر قال ﷺ " أفلا أكون عبداً شكورا.. ".

واعلم أن هناك فرقا بين العباد.. والعبيد،

فيقول تعالى فى سورة فصلت -٤٦:﴿... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾ ، **ويقول فى سورة الحج-١٠:**﴿.. وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٠﴾، **أمّا عن العباد فيقول جَلَّ شأنه فى سورة الحجر:**﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾،**ويقول فى سورة الفرقان-٦٣:** ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ۝٦٣﴾ ، **ويقول للشيطان:** ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ۝٦٥﴾ **(الإسراء-٦٥).**

فواضح أن العباد لهم صفات خاصة، وهى الأوبة للّه تعالى وحسن عبادته وصدق الالتجاء إليهِ.. وهم باختصار صفوة خلق اللّه تعالى..، أمّا العبيد فهم مطلق الخلق على جهلهم وكفرهم ومعاصيهم.، ورغم هذا فإن اللّه تعالى لا يظلمهم ولكن يحاسبهم على أعمالهم إن خيرا فخير..، وإن شرا فشر.. وكم ما بين درجة العباد ودرجة العبيد من درجات وتفاوت..

بقى معنى أخير فى قول اللّه تعالى فى أول سورة البقرة:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾، **فيمكن فهم المقصود بالغيب هنا أنَّهم يؤمنون غيبا، أى بلا دليل مادى ولا منطق جدلى ولا تفكير عقلانى...، ولكنهم سمعوا فأطاعوا وآمنوا بما يقوله اللّه تعالى ورسوله.. فلم يحتاجوا إلى دليل ولا نقاش.. ولكنهم**

آمنوا بمجرد الأمر لهم بالإيمان.. فهو التسليم المطلق واليقين الخالص بنبوة رسول اللَّه ﷺ وألوهية المولى جَلَّ جلاله.

يقول تعالى في سورة ق: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾، ويقول في سورة الملك-١٢:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾

وانظر إلى أبي بكر الصديق رضى اللَّه عنه حين تشكو إليهِ قريش ما يقوله صاحبه محمد أنَّهُ قد أُسرى به تلك الليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.. وعاد في نفس الليلة.. وهم الذين يضربون أكباد الإبل كما يقولون شهرا ذهابا وشهرا عودة. فأى عقل في هذا الأمر؟؟؟

فماذا يقول لهم أبو بكر رضى اللَّه عنه في تلك المحنة الشديدة التي اهتز لها إيمان بعض المسلمين آنذاك !!!، لم يتردد.. ولم يفكر.. ولم يتساءل لها في نفسه ولا بعقله، ولكنه قال على الفور " إن كان قال ذلك فقد صدق !!!!"

نِعْمَ الصِدِّيقْ، ونعم الرفيق، لا جدال ولا نقاش ما دام رسول اللَّه قد قال ذلك فهو الصدق.. وهو الحق..، هذا هو الإيمان الكامل واليقين التام باللَّه تعالى ورسوله ﷺ.

هذا هو إيمان الصحابة.. ويقينهم.. وإسلامهم.. فانظر..واعقل.

وأين باللَّه هؤلاء من الذى تحدثه بكتاب اللَّه وآياته فيطلب الدليل والبرهان العقلى على ما جاء في كتاب اللَّه!!! يريد دليلا على حكمة الأوامر الإلاهية والنواهي الربَّانية، ويريد برهانا على الحكمة في أوامر رسوله ﷺ. باللَّه أين هذا الإيمان من الإيمان الحق واليقين الصادق!!!.

انظر إلى عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه وهو يقبل الحجر الأسود

فى الكعبة المشرفة.. ماذا يقول !!! يقول " واللّه إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول اللّه ﷺ يقبلك.. ما قبلتك.. ".

رسول اللّه الذى حطم الأصنام وحارب الأوثان.. ودعا إلى عبادة اللّه الواحد الأحد.. وجاهد المشركين جهادا كبيرا.. يقبل الحجر الأسود.. ويطوف حول الكعبة..، إذاً لا نقاش ولا جدال.. ولا تساؤل.. أمر من اللّه ورسوله.. وطاعة من المؤمنين وامتثال للأوامر والنواهي بلا بحث عن حكمة أو سبب !! أمر، وطاعة.. ألوهية وعبودية.. وتسليم ويقين باللّه ورسوله..

* * *

موجز الباب الثالث

فإذا أردنا أن نلخص لك أهم ما سجلناه فى هذا الباب قلنا : –

•الإيمان هو أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

• تتداخل عوالم الملك والملكوت بعد الموت فتتمثل الصلاة والصيام والعمل الصالح فى صور محددة، وتتحول الماديات إلى معنويات كالوضوء إلى نور.

•الإيمان أنواع منها اليقينى أو الشهودى وهو الأعلى.. ومنها العقلى الاستدلالى ومنها التقليدى وهو الأدنى.

•الإيمان درجات لا نهاية لها وله صحة ومرض وله زيادة ونقصان.

•الإيمان باطنه اليقين ومعرفة اللّه تعالى، وظاهره الاسلام والطاعات والخلق الحسن.

•الإيمان ضده الكفر.. والكفر نوعان.. اعتقادى إلحادى.. وجحود ومكابرة.

• الإيمان يزيد بالطاعات.. والطاعات تزيد فى الإيمان.

• الإيمان قد يسبق إلى القلب.. وقد يسبق الإسلام كذلك إلى القلب والجوارح.

• الإيمان هو الفطرة السليمة.. وكل الأرواح مؤمنة باللّه تعالى عالمة بربها أصلا.

•من أمراض الإيمان.. النفاق.. والرياء.

•أعلى الإيمان هو إيمان الأنبياء.. ثم إيمان صحابة رسول اللّه ﷺ.

•الإيمان بالغيب هو أعلى درجات الإيمان لما فيه من تسليم مطلق للَّه تعالى.

* * *

اللَّهم أنت المؤمن.. ورسولك مؤمن.. ويؤمن باللَّه.. ويؤمن للمؤمنين.. وكل عبد من عبادك الصالحين مؤمن.. اللَّهم فاجعلنا من المؤمنين لك وبك ومنك.. وهبنا من لدنك إيمانا يباشر قلوبنا ويقينا صادقا.. واكشف لنا الحجاب يا مشرق البرهان. يا دائم الإحسان. يا رحمن يا ديان يا حنان يا منان.. وصل وسلم وبارك على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين.. وعلى عبادك الصالحين أجمعين من أهل السموات وأهل الأرضين.. وارضَ اللَّهم عن ساداتنا ذوى القدر الجلى.. أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن سائر أصحاب رسول اللَّه أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. واهدنا وارحمنا واحشرنا معهم برحمتك يا ارحم الراحمين يا ربنا يا واسع المغفرة لا اله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك اللَّهم آمين...

* * *